كتاب مشاهد الأسرار القدسيّة ومطالع الأنوار الإلهيّة

للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – هذا الكتاب من مشاهد الأسرار القدسيّة ومطالع الأنوار الإلهيّة. إنّما إستخرجناها لكم من الخزائن ‹الإلهيّة› المقفولة في غيبات الأزل، المصونة عن طوارق الأغراض والعلل.

٢ – وجعلناهُ أربعة عشر مشهداً... وفي آخره فصل به خاتمة الكتاب في تأييد هَذه المكاشفات العلميّة والمشاهد القدسيّة. ولا سبيل أن يقف على هذه المشاهد إلاّ أربابها، وهي أمانة بيد كلّ مَن حصلت عنده. فإن كان من أهلها حصل له مراده، وإن كان من غير أهلها فليبحث عن أربابها وأهلها. فإنّ اللّه يقول : (إنّ اللّه يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها) (النساء ٤ : ٥٨). وكلّ شيء لا تفهمه ولم يبلغه علمُك ولا تصرّف فيه عقلُك ، فهو أمانة بيدك . واللّه يكرمه ‹السالكَ الطالب› بنور البصائر ويصلح السَّرائر ويصفي الضَّمائر ... ‹تعالى› القادر.

الفصل الأوّل
مشهد نور الوجود بطلوع نجم العيان

٣ – أَشْهَدَنِي الحقُّ بمشهد نور الوجود وطلوع نجم العيان ، وقال لي: «مَنْ أنْتَ؟» قلتُ:

«العدم الظَّاهر». قال لي: «والعدم كيف يصيرُ وجوداً؟ لو لم تكن موجوداً لَمَا صحّ وجودك؟» قلتُ: «ولذلك قلتُ: «‹أنا› العدم الظَّاهر. وأمّا العدم الباطن فلا يصحّ وجودُه». ثمّ قال لي: «إذا كان الوجود الأوّل عين الوجود الثَّاني، فلا عدم سابقٌ، ولا وجودَ حادثٌ، وقد ثبَتَ حدوثك». ثمّ قال لي: «ليس الوجود الأوّل عين الوجود الثاني». ثمّ قال لي: «الوجود الأوّل كوجود الكلّيّات، والوجود الثاني كوجود الشخصيّات». ثمّ قال لي: «العدم حقٌّ، وما ثَمَّ غيره، والوجود حَقٌّ ليس غيره». قلتُ له: «كذلك هو».

٤ – قال لي: «أراك مُسَلِّماً تقليداً، أو ‹أنتَ› صاحب دليل». قلت: لا مقلِّد ولا صاحب دليل.

قال لي: «فأنتَ لا شيٌ.» قلتُ له: «أنا الشي بلا مثْليّة، وأنتَ الشي بالمثليّة». قال: «صدقتَ». ثمّ قال لي: «ما أنتَ بشيء ولا كنتَ شيئاً ولَستَ على شيء». قلتُ له: «نعمْ؛ لو كنتُ شيئاً، لأدركني جواز الإدراك. ولو كنتُ على شيء لقامَتْ النِّسَبُ الثلاثُ. ولو إنِّي الشّيءُ لكان لي مقابلٌ، ولا مقابل لي». قلت له: «وُجدْتُ في الأبعاض ولم أُوجَدْ، فَأنا مسمًّى من غير إسمٍ، وموصوف من غير وصف، ومنعوت بلا نعت، وهو كمالي. وأنت مسمّى بالإسم، وموصوف بالوصف، ومنعوت بالنَّعْت، وهو كمالُك».

٥ – ثمّ قال لي: «لا يعرف الموجود إلاّ المعدوم». ثُمّ قَال لي: «لا يعرف الموجود على الحقيقة إلاّ الموجود». ثُمّ قال لي: «الوجود منّي، لا منك، وبك، لا بي». ثمّ قال لي: «من وَجَدَك وجدني، ومن فقدك فقدني». ثمّ قال لي: «من وَجدك فقدني، ومن فقدك وجدني». ثمّ قال لي: «من فقدني وجدني، ومن وجدني لمْ يفقدني». ثمّ قال لي: «الوجود والفقْد لك، لا لي». ثمّ قال لي:«الوجود والفقد لي، لا لك». ثمّ قال لي: «كلّ وجود لا يصحُّ إلاّ بالتَّقييد، وهو لك. وكلّ وجود مطلق، فهو لي». ثمّ قال لي: «وجود التقييد لي، لا لك». ثمّ قال لي: «الوجود المفروق لي بك، والوجود المجموع لك بي». ثُمّ قال لي: «وبالعكس».

٦ – ثمّ قال لي: «الوجود بالأوّليَّة غير وجود، ودونها هو الوجود الحقيقي». ثمّ قال لي: «الوجود بي، وعنّي، ولي». ثمّ قال لي: «الوجود لا بي، ولا عني، ولا لي». ثمّ قال لي: «إنْ وجدتَني لمْ ترني، وإن فقدتَني رأيتَني». ثمّ قال لي: «في الوجود فقْدي، وفي الفقد وَجودي. فلو اطَّلعتَ علىَ الأخْذ لوقفتَ على الوجود الحقيقي».

الفصل الثاني
مشهد نور الأخذ بطلوع نجم الإقرار

٧ – أشهدني الحقٌّ بمشهد نور الأخذ وطلوع نجم الإقرار، وقال لي: «الأخذ عين التَّرك،

وليس كلّ متروك مأخوذ». ثم قال لي: «تجدُني ولا تأخذني، وآخذك ولا أجدُك». ثمّ قال لي: «أجدُك ولا آخذك». ثمّ قال لي: «إنّما كان الأخذ من ورائك، ولو كان من أمامك ما ضلّ أحدٌ». ثمّ قال لي: «ظهرتُ في الأخذ وخفيتُ في التَّرك». ثمّ قال لي: «الأخذ ثلاثة، وكلّ عدد يفترق فلا أخذٌ». ثمّ قال لي: «نفسي أخذتُ». ثمّ قال لي: «أنظر الجُماد وخُذ تسبيحَهُ، فذلك جوابهم ببلى». (الأعراف ٧ : ١٧٢).

٨ – ثمّ قال لي: «إن حجبتُك بالأخْذ تعذّبتَ عذابَ الآباد في النعيم المقيم». ثمّ قال لي: «ما أخذ إلا مملوك، وما مُلك إلاّ مقهور، وما قُهر إلاّ محصور، وما حُصر إلاّ مُحدَث، وما حُدث إلاّ عدم». ثمّ قال لي: «أخذتُ المفترق فجمعَتُه، وأخذتُه من الجمع فَجمعتُه، ثمّ فرّقتُه ثمّ جمعتُه ثمّ فرّقتُه ثمّ جمعتُه ثمّ لا تفريق ولا جمع».

٩ – ثمّ أشهدني ما فوق الأخذ، فرأيتُ اليَد ‹الإلهية›، ثمّ أرسل البحر الأخضر بيني وبينها، فغرقتُ فيه فرأيتُ لوحاً، فركبتُ عليه فنجوتُ، ولولاهُ لهلكتُ. ثمّ برزت اليد، فإذاً هي ساحل لذلك البحر. فالمَراكب تجري فيه حتّى تنتهي للسَّاحل، فيُبرزها السَّاحل ويرمي بها في القفر، ويخرجون أصحاب المراكب، معهُمْ درٌّ وجوهر ومرجان. فإذا حصل في البرّ عادت أحجاراً مبتذلة. فقلتُ له: «كيف يبقى الدرّ درّاً والجوهر جوهراً والمرجان مرجاناً؟» قال: «إذا خرجتَ من البحر، فأخرج معك من مائه، فما بقي الماءُ بقي الدرّ والجوهر والمرجان على حاله. فإن يبس الماء عادت أحجاراً – وفَي سورة الأنبياء أوضحت سرّها».

١٠ – فأخرجتُ ‹من البحر› معي من الماء. فلمّا وصلت القفر رأيتُ في وسط القفر روضةً خضراءَ، فقيل لي: «أدخُل». فدخلتُ، فرأيتُ أزهارها وأنوارها وطيورها وثمارها. فمَدَدْتُ يدي لآكل من ثمرها، فيبس الماءُ واستحالت الجواهرُ. فإذا النّداءُ: «ألق ما بيدك من ثمرها». فألقيتُ بها فَنَبَعَ الماءُ وعادت الجواهر إلى حالها. ثمّ قال لي: «سرْ إلى آخَر الرَّوضة». فسرتُ، فوجدتُ صحراءً. فقال: «اسلكها». فسلكتُها، فرأيتُ بها عقارب وحيَّات وأفاعي وأسُوداً. فكلّما نالني منها ضرر نضحتُ الموضعَ بالماء، فبَرِىءَ. ثمّ فتح لي في آخر الصحْراء عن جنّات، فدخلتُها فيبس الماءُ، فخرجتُ منها فنبع الماءُ.

١١ – ثمّ دخلتُ الظلمة، فقيل لي: «ألق ثوبَك وأرم الماءَ والأحجار، فقد وجدتَ». فألقيتُ كلّ شيء كان عندي، وما رأيتُ حيث ألقيَتُ وبقيتُ. فقال لي: «الآن أنت أنت». ثمّ قال لي: «ترى ماأ أحسن هذه الظُّلمة وما أشدّ ضوءها وما أسطع نورها. هذه الظُّلمة مطلع الأنوار ومنبع عيون الأسرار وعُنصر الموادّ. من هذه الظُلمة أوجدتُك وإليها أرُدُّك، ولست أخرجك منها».

١٢ – ثمّ فتح لي قدر سمّ الخياط، فخرجتُ عليه، فرأيتُ بهاءً ونوراً قاطعاً. فقال لي:

«رأيتَ ما أشدّ ظلام هذا النُّور. أخرج يدك، فلَنْ تراها» (أنظر إلى سورة النور ٢٤ : ٤٠). فأخرجتُ يدي، فما رأيتُها. فقال: «هذا نوري، لا يرى فيه غيري». ثمّ قال: «أرجع إلى ظلمتك، فإنّك مبعود عن أبناءَ جنسك». ثمّ قال لي: «ليس في الظُّلمة غيرك، ولا أوجدتُ منها سواك، منها أخذتُك». ثمّ قال لي: «كلّ موجود دونك خلقتُه من نور، إلاّ أنتَ. فإنّك مخلوق من الظُّلمة». ثمّ قال لي: «(وما قدّروا اللّه حقّ قدْره) (الحجّ ٢٢ : ٧٤). لو كانوا في النُّور لقدروه. أنتَ عبدي حقّاً». ثمّ قال لي: «إن أردتَ أن تراني، فارفع السّتر عن وجهي».

الفصل الثالث

مشهد نور الستور بطلوع نجم التأييد

١٣ – أشهدني الحقُّ بمشهد نور السّتور وطلوع نجم التَّأييد، وقال لي: «أتعرف بكَمْ حَجَبْتُك؟» قلتُ: «لا.» قال: «بسبعين ستار. فإن رفعتَها لم ترني، فإن لم ترفعْها لم ترنيِ». ثمّ قال لي: «إن رفعتها رأيتني، وإن لم ترفَعْها رأيتني». ثمَّ قال لي: «إيّاك والإحتراق». ثمّ قال لي: «أنتَ بصري، فكُن في أمان؛ وأنتَ وجهي، فاستتر». ثُمّ قال لي: «ارفع السّتور كلّها عنّي واكْشفْني، فقد أبحتُ لك ذلك، واجعلْني في خزائنَ الغيوب حتَّى لا يراني غيري، وادع النّاسَ إلى رُؤيتي، وستجدُ خلْفَ كلّ ستار ما وَجَدَ الحبيبُ، فتأمَّل واقرأ: «سُبحان!» فإذاً وصلتَ السّميع البصير. فافهم مُرادي، وأخبِر العباد بما رأيتَه، تَسوُقهم إليّ وترْغبُهم فيّ، وتكون رحمة لهم».

١٤ – ثمّ قال لي: «إرفع السّتور واحداً فواحداً». فرفعتُ الحرف (ا)، فرأيتُ العدم. ثمّ ‹رفعت› (ب) الوجود، ثمّ (ج) الموجود، ثمّ (د) العهود، ثمّ (هـ) الرجوع، ثمّ (و) البُحور، ثمّ (ز) الظُّلمات، ثمّ (ح) الخضوع، ثمّ (ط) التَّعليم، ثمّ (ي) الإشتقاق، ثمّ (يا) الإباحة، ثمّ (يب) المنْع، ثمّ (يج) التعدّي، ثمّ (يد) الغضب، ثمّ (يه) السِّجن، ثمّ (يو) الحروف، ثمّ (ير) التولّد، ثمّ (يح) الموت، ثمّ (يم) الجزي، ثمّ (يط) الموت الكلّي، ثمّ (ك) التوجيه، ثمّ (كا) التَّبليغ، ثمّ (كب) الإعتصام، ثمّ (كج) القَدَمان، ثمّ (كد) الإختصاص العام، ثمّ (كه) الترميل، ثمّ (كو) الشقّ، ثمّ (كز) التَّطهير، ثمّ (كح) التَّلفيق، ثمّ (كط) التَّحريم، ثمّ (ل) التَّقديس، ثمّ (لا) الشخ؟ ثمّ (لب) الإمتطى (الإمتطاء)، ثمّ (لج) السلوك، ثمّ (لد) اللبن، ثمّ (له) الفرع، ثمّ (لو) الإمتزاج، ثمّ (لز) الأرواح، ثمّ (لح) الجمال، ثمّ (لطا) العلي؟ ثمّ (م) السّيادة، ثمّ (ما) المناجة، ثمّ (مب) التَّحليل، ثمّ (مح) الإنتهاء، ثمّ (مد) التَّرك، ثمّ (مه) المحبّة، ثمّ (مو) الرفع، ثمّ (مز) السّتر، ثمّ (مح) الصدور، ثمّ (مط) الصِّدّيقيَّة، ثمّ (ن) القهر، ثمّ (نا) الحياة، ثمّ (نب) الشَّهامة، ثمّ (نج) الانصرام، ثمَّ (ند) الميرا، ثمّ (نه)

الإصطلام، ثمّ (نو) الفناء، ثمّ (نز) البقاء، ثمّ (نح) الغيرة، ثمّ (نط) الهمّة، ثمّ (ص) الكشف، ثمّ (صا) المشاهدة، ثمّ (صب) الجلال، ثمّ (صج) الجمال، ثمّ (صد) ذهاب العين، ثمّ (صه) ما لا يُدرَك، ثمّ (صو) ما لا يُسمَع، ثمّ (صز) ما لا يُفهَم، ثمّ (صح) ما لا يُنْقَل، ثمّ (صط) الإشارة، ثمّ (ع) الكلّ. ثمّ يَتْبَعُه التَّفْصيل. ـ ‹قال العبد› فلما انتَهيْتُ، قال لي: «ما رأيتَ؟» قلتُ: «عظيماً.». قال لي: «ما أخفيْه عنك أعظَم.» ثم قال لي: «وعزّتِي ما أخفيتُ عنك شيئاً، ولا أظهرتُ لك شيئاً».

١٥ – ثم أحرق السّتور فرأيتُ العرش. فقال لي: «إحمله». فحملتُه. فقال لي: «ألْقه في البحر». فألقيته فغَاب ‹العرش›. ثمّ رمى به البحر، فقال لي: «إستخرج من البحر حَجر المثْل». فأخرجتُه. فقال لي: «أرفع الميزان». فرفعتُه. فقال لي: «ضعْ العرش وما حواه في كفّة، وضعْ حجر المثل في الكفَّة الأخرى»، فرجح الحجر. فقال لي: «لو وضعتَ من العرش ألف ألف إلى منتهى الوقت لرَجَحَهُ ذلك الحجر». فقلتُ له: «ما اسم هذا الحجر؟» فقال: «ارفع رأسك وانظر في كلّ شيء، تجده مرقوماً». فرفعتُ رأسي، فرأيتُ في كلّ شيء «أ». ثم حجبني بخمسين حجاب، وكُشف عن وجهي أربع مائة حجاب ما شعرتُ بها أنّهاً على وجهي من دقّتها. ثمّ قال لي: «أضفَ ما رأيتَ في كل شيء إلى الحُجب، فما اجتمع فهو اسم ذلك الحجر». ثمّ قال لي: «كلّ ذلك مكتوب أزلاً. هذا كلّ شيء بين يديْك. فاقرأ: بسم اللّه الرحمن الرحيم. وأضف الوجود الأوّل إلى الوجود الثاني».

١٦ – «فاعلم أنّ العدم سبقَك وكنتَ موجوداً، ثمّ عهَّدْتُك في حضرت الوحدانيّة بالإقرار: (إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا) (طه ٢٠ : ١٤). فشهدت لي بذلك. ثمّ رَدَدْتُك، ثمّ أخرجتك، ثمّ أرميتُك في البحر، ثمّ ألقيتُ أجزاءك في الظُّلمات، ثمّ بعثتُك إليهم، فأقرّوا لك بالطّاعة وخضعوا، ثمّ أنستُك بجُزْئك في حضرتك مباحةً لك، ثمّ حرمتُ عليك حضرتي، فأذنت لك في الدُّخول فيها، فغضبتُ عليك فسجنتُك، وأنتَ مرحوم».

١٧ – ثمّ شكَّلتُ لك الحروف، فحفظتَها. ثمّ أعطيتُك القلم فاستويتُ على عرشك، وكتبتُ في (اللوح المحفوظ) (البروج ٨٥: ٢٢) ما أردتُه منك. ثمّ أحْيَيْتُ بعضَك، ثمّ أكملتُك بالحياة، ثمّ أخرجتُ منك أجزاءً فرّقتُهم في زوايا السّجن، وأيّدتُهم بالعِصمة، وأقعدتُهم على الكراسي. ثمّ خصّصتُ اللّغات.

١٨ – وأقْعَد واحدٌ منهم خصّصتُك بسببه، فأتَيْتُه بالكلمات. ثمّ طهّرتُه من الأدناس، وحرّمتُ عليه الأكوان، وقدّستُ محلّهُ، وَشفعتُه في ذلك. ثمّ غمستُه في البحر، فركب على دابة من دوابه، ثمّ أسرى في الآن، فأنزلتُه على قبّة أرين، فأعطيتُه الحياة الكلّية وعصمتُه من جُزْئه.

١٩ – ثمّ خاطبتُه من وسطه ‹بقوله›: «عند ترك التَّناهي أحِبُّك، وعند إزالة الأرواح أسرّك.

فاصدرْ واصدع قلب الصدق وأقهره. وخُذ سرّ الحياة واجعلْه في من تُريده. وجَرّد سيف الإنتقَام واعل به منارَك، واقطع من عاداك. ثمّ أبت إليَّ وأترك ولدك، فإنّه يقوم مقامك». وقُلْ له: «يصطلم في الفناء ببقائي ولا يغار على كشفه، ويُشاهدَني في الصفات ولا يُشاهدَني في الذوات. فإنّ عيني ذهب منها، وإن سمع أو فهم أو علم أو أشار أو نقل أو فصّل أو جمع لم يدركْني. وفي الشعور تلوح لأهْل النظر الأمور».

الفصل الرابع
مشهد نور الشعور بطلوع نجم التنزيه

٢٠ – أشهدني الحقّ بمشهد نور الشّعور وطلوع نجم التّنزيه، وقال لي: «خفيتُ في البيان والشّعور لأهل السّتور». قال لي: «النّظر محصور وهو موضع الرمز ومحلّ للُغز الأشياء. ولو عُلم أنّ في شدّة الوضوح لغز الأشياء (الإلهية ورموزها) لسلّكوه. أنزلتُ «الآيات البيّناتَ» دلائل لمعانٍ لا تفهَم أبداً». ثمّ قال لي: «أنظرني في الشّمس واطلبني في القمر وابحثني في النجوم».

٢١ – ثمّ قال لي: «لا تكن طير عيسى». ثم قال لي: «أطلبني في الخليفة واطلبني في العَسس، تجدني». ثمّ قال لي: «إذا رأيتَ البقر تغرق إلى ظهورها والخيل والحمير، فاركب البغال واستند للجدار واحصل على الدكّان. فإن بدا لك طرف يقطع عليك الدكّان. فألق يدك على عينك ودلّ شعرك على جبينك واحصل في النّهر. فإنّه لا يصل إلى قربوس سرجك وتنجو. ويهلك فيه صاحب الخيل وصاحب الحمير، إلاّ صاحب البغال».

٢٢ – ثمّ قال لي: «إذا وَقعَتَ في الشُّعور، كنتَ النّمط الأوسط. مَن دونك إليك ينظر، والّذي علاك إليك يرجع، وما علاك أحد في الشّعور تجد الآن». ثمّ قال لي: «فإذا كنتَ النّمط الأوسط، فسافر في الرَّبيع». ثمّ قال لي: «النُّور حجاب والظُّلمة حجاب، وفي الخطّ بينهما تشعر بالفائدة؛ فالزم الخطّ، فإذا وصلتَ إلى النقطة التي برأس الخطّ، فاعدمها في صلاة المغرب، ثمّ نمْ».

٢٣ – ثمّ قال لي: «لا تُصليّ العتمة، فإذا جاء السَّحَر ارتفع التّكليف وسقطت المؤنَ. كنتُ أنتَ، وأنتَ متعالياً عن هذه الأوصاف». ثمّ قال لي: «أنتَ منزل الأمر ‹الإلهي›، فلا تبرح، فإن تبرح هلكتَ». ثمّ قال لي: «إذا ركبتَ البغل، لا تنظر من أيّ طرف أنت، فتهلك. وإذ ركبتَ، فاصمت».

الفصل الخامس

مشهد نور الصمت بطلوع نجم السلب

٢٤ – أشهدني الحقّ بمشهد نور الصّمت وطلوع نجم السّلب. فأخرسني، فما بقي في الكون موضع إلا ارتقم بكلامي، وما سُطرَ كتاب إلاّ من مادتي وإلقائي. ثّم قال لي: «الصّمت حقيقتك». ثمّ قال لي: «الصّمت لا غيرك والصّمت ليس إليك». ثمّ قال لي: «إن كان الصّامت معبودك لحقتَ بأصحاب العجل وانتظمتَ مع أهلِ الشَّمس والقمر؛ وإن لم يكن الصّامت معبودك، كنتَ لي ولم تكن له».

٢٥ – ثمّ قال لي: «على الكلام فطرتُك وهو حقيقة صمتك. فإذا كنت متكلّماً فأنتَ الصّامت». ثمّ قال لي: «بك أتكلّم، وبك أعْطي وبك آخذ، وبك أبسُط، وبك أقبض، وبك أرى، وبك أوجِد، وبك أعلم». ثمّ قال لي: «لك أتكلّم، ولك أعطي، ولك آخذ، ولك أَبسط، ولك أَقبض، ولك أرىَ، ولك أوجد، ولك أعلم». ثمّ قال لي: «أنت موضع نظري وأنت صفتي، فلا تتكلّم إلاّ إذا نظرتُك وأنا أنظرك دائماً. فخاطب النّاس على الدَّوام، ولا تتكلّم». ثمّ قال لي: «صمتي ظاهر وجودك وكونك». ثمّ قال لي: «لو كنتُ أنا صامتاً لم تكن أنت، ولو تكلّمتَ أنتَ ما عُرفتُ أنا. فتكلَّمْ حتّى أُعْرَف.».

٢٦ – ثمّ قال لي: «الألف صامت والحروف ناطقة، والألف ناطقة في الحروف، وليست الحروف ناطقة في الألف. والحروف مدبَّرة عن الألف ولا مستصحب لها، وهي لا تشعر». ثمّ قال لي: «الحروف موسى والألف العصا». ثمّ قال لي: «في الصَّمت وجودُك، وفي النُّطق عدمُك». ثمّ قال لي: «ما صَمَتَ مَنْ صمت، وإنّما صَمَتَ مَنْ لم يصمت». ثمّ قال لي: «تكلّمتَ أو صمتَّ فأنتَ متكلّم. ولو تكلّمتَ آباد الآباد ما دامت الديموميّة، فأنت صامت»، ثمّ قال لي: «إن صمتَّ اهْتَدَى بك كلّ شيءٍ، وإن تكلّمتَ ضَلَّ بك كلّ شيءٍ. فاطّلع، تكشف.».

الفصل السادس
مشهد نور المُطَّلِع بطلوع نجم الكشف

٢٧ – أشهدني الحقّ بمشهد نور المُطَّلع وطلوع نجم الكشف، وقال لي: «من الحدّ ارتقيتَ، ولا تُفارقْه. فلولا الظَهْر ما عرف البَطْنَ، ولولا الحدّ ما شوهِد المطّلع. وطلوع النور شُهِدت له الظلمة وطلوع البدر شُهدت له الشمس».

٢٨ – ثمّ قال لي: «من المَطّلع نزل من نزل، ومنه علا من علا. فاحذرني في المطّلع، فإن رأيتُ ظاهر سورك جز الحدَّ أنزلتك عن المطّلع إلى الظهر. وإن بقيتَ مع الحدّ، رَغِب المطّلع في مقامك».

٢٩ – ثمّ قال لي: «طلع العزّ في ‹مقام› القرب، فشُهِدَ له كبرياء الكون. وطلع الوقت في الوقفة، فشهد له بحر الرحمَانيَّة. وطلع أدب العارفَ، وشهد له عزاءُ أعمال تذكره أمر المطّلع. وطلع المطَّلع، وشهد له الحدّ. وطلع الموت وشهد له عزّ التقرير. وطلع الرفق ببيْت الحياة، وشهد له ظَهور النُّطق. وطلع الاسم وشهد له الحجَاب. وطلع التبرئةَ، وشُهِدَتْ له الريَاء. وطلع عين البصيرة، وشهد له الكشف. وطلع الدُّعاء، وشهد له البُعد. وطَلع الصّفَح، وشهد له الذنبُ».

٣٠ – «وطلع ما لا يُكْشَف، وشُهِدَتْ له الولاية. وطلع ما فوق العرش، وشهدت له دلالة الحقّ. وطلع بحر الرجوع، وشهد لَه فقد النور. وطلعت المسْكنة، وشهدت لها ظهور الأنيّة. وطلعت العظمة، وشهدت لها الهوية. وطلع التيه، وشهدت له الماهيّة. وطلع الحجاب، وشهدت له اللّميّة. وطلع الثوب، وشهدت له الكميّة. وطلعت الوحدانية، وشهد لها العدم. وطلع الاختيار، وشهد له العهْد. وطلع ما لَدَيْه، وشهدت له المنازل».

٣١ – «وطلعت السّكينة، وشهد لها التمكينَ. وطلع القلب، وشهد له النظر. وطلعت معرفة العهْد، وشهد له الأدب. وطلع الليل للناطق، وشهد له البَهْت. وطلعت العبودية، وشهد لها الوقوف. وطلعت الحروف، وشهدت لها الاعتبارات. وطلعت القوة، وشهد لها الإقبال. وطلعت الرَعْدة، وشهدت لها العبادة. وطلع إدراك الصِديقيّة، وشهد له إسلام الجُنّاح».

٣٢ – فلمّا رأيتُ المطالع تتوالى والشواهد تترادف، قلتُ: «ألهذا منتهى؟» قال لي: «لا. ما دامت الديموميّة دائمة». ثمّ قال: «كلّ ما اطّلعتَ عليه وكلّ ما غاب عنك ويرد عليك فهو لك، ومن أجلك، وفيك. ولو كشفتُ لك عن أدنى سرّ من أسرار «توحيد الألوهية» التي أوعدتُه فيك، ما أطَقت حمْله، ولاخترُقت. وكيف ما هو منّي أو تتّصف به ذاتي؟».

٣٣ – «دُمْ ما دامتْ دَيْمُوميَّتي لا ترى إلاّ نفسَك في كلّ مقام. وفي أسرع من لمح البصر ترتقي مقامات لم ترها قطّ، ولا تعود إليها، ولا تزول عن نفسك ولا تتعدّى قدرك. لو قدرتَ قدرك لانتهيتَ، وأنتَ لا تنتَهي. فكيف تقدر قدْرك، فإذا عجزتَ ويحقّ لك العجز إن تقدر قدرك؟ فتأدَّبْ، ولا تطلب قدري، فإنّك لن تدركه. وأنتَ أكرم موجود في علمي».

٣٤ – ثمّ قال لي: «اعلم أنّ قلب العارَف يَمُرّ عليه كلّ يوم سبعون ألف سرٍّ من أسرار جلالي لا يعودون إليه أبداً. لو انكشف سرّ منها لمن هو في غير ذلك المقام، أحْرقه». ثمّ قال لي: «لولاك، ما ظهرت المقامات، ولا ترتّبت المنازل، ولا كانت الأسرار، ولا أشرقت الأنوار، ولا كان ثمّ ظلام، ولا كان اطّلاع، ولا حدّ ولا ظاهر ولا باطن ولا أوّل ولا آخِر. فأنتَ أسمائي ودليل ذاتي؛ فذاتُك ذاتي، وصفاتك صفاتي».

٣٥ – «فأبرِزْ في وجَودي عنّي، تُخاطِبهم بلساني وهم لا يشعرون. يشهدونك متكلّماً

وأنت صامت، ويشهدونك عالماً وأنتَ معلوم. يشهدونك قادراً وأنتَ مقدور. مَن رآك، فقد رآني. ومن عظّمَك، فقد عظّمنيَ. ومن أهانكَ نفسُه أهان. ومن أذلّك نفسُه أذلّ. تعاقب من تريد وتثيب من تريد بغير إرادة منك. أنتَ مرآتي، وأنتَ بيتي، وأنت مسكني وخزانة غيبي ومستقرّ علمي. لولاك، ما عُلّمتُ ولا عُبدتُ ولا شُكرتُ ولا كُفرتُ. إذا أردتُ أن أعذّب أحداً كفر بك. وإذا أردتُ أن أنعمَه شكرك. سَبحانك وَتعاليتَ. أنتَ المسبَّح والممجَّد والمعظَّم».

٣٦ – «غاية العلم والمعرفة أن تتعلّق بك. أوجدتُ فيك من الصفات والنعوت ما أردتُ أن تعلّمني بها. فغاية معرفتك على قدر ما وهبتُك، فما عرفت إلاّ نفسك. انفردتُ أنا بصفات الجلال والجمال لا يعلمها أحد غيري. لَو عُلم علمي وإرادتي وجميع صفاتي ـ إذ ليس لها جمع ولا إياي ـ حُدُها حَدّ. لَمْ أكن إلهاً ولا كَنتُ خالقاً».

٣٧ – «فكلّ تنزيه ينزّهني، عليك يعود. فإنّما يُبْعد عن النقائص ويقدّس عنها مَن اتّهمت فيه أو جُوِّزت عليه. تعاليتُ في نفسي لنفسي بنَفسي علوّاً كبيراً لا يُدرَك ولا يحسّ. الأبصار قاصرة والعقول حائرة والقلوب في عماية والعالمون في تيه الحيرة تائهون؛ الألباب حائرة عن إدراك أدنى سرٍّ من جلي كبريائي».

٣٨ – ‹فخاطبني الحقّ› وقال لي: «كيف تُحيط به علمكم هَباءٌ مَنْثُورٌ؟» (الفرقان ٢٥ : ٢٣) وصفاتُكم عدمٌ وحقيقتُكم مجازٌ في رُكن وَجودي. ارجع وراءك لن تعدو قدرَك، كلُّكُمْ جاهل غَيْبي، أخرس، أعمى، عاجز، قاصر، صامت، حائر. لا يملك قطميراً ولا فتيلاً ولا نقيراً. لو سَلّطتُ عليكم أدنى حشرات المخلوقات وأضعف جُندي لأهْلَكتكم ومزّقتكم، فكيف تدعون أن تقولوا بأنَّكُمْ أنا أو أنا أنْتُم؟» أدعيتُم المُحال وعشتُم في ضلال، فتفرّقتم أحزاباً، وصرتم أشتاتاً (كل حزب بما لديهم فرحون) (المؤمنون٢٣ : ٥٣) والحقّ وراء ذلك».

٣٩ – قال لي: «يا عبدي و ‹أنتَ› موضع نظري، من حقائقي بلِّغ عني حقّاً وأنا الصادق. وعزّتي وجلالي، ما أخفيتُه من سنى علمي لأعذّبنّ عذاباً لا أعذّب أحداً من العالمين. ‹ولكن› من كذّب برُسُلي وكذّب اختصاصي لهم من سائر العباد، وكذّب بصفاتي وادعى أنّه ليس لي صفة، وأوجب عليَّ، وأدخلني تحت الحصرْ، وكذّب كلامي، وتأوّله من غير علم به، وكذّب بلقائي، وقال: «إنّي لم أخلقه وإنّي غير قادر على بعْثه كما بدأتُه ‹من قبل›، وكذّب بحشري ونشري، وحَوّضَ بيني وبين ميزاني وصراطي ورؤيتي وناري وجنّتي، وزعم أنّها أمثلة وعبارات المُراد بها أمور فوق ما ظهر، وعزّتي وجلالي ليردُّون ويعملون من أصحاب الصِّراط السُّوء. والعذاب منهم على ما أخبرتُ في كُتبي: «كَذّبُوني وصَدقُوا أهواءهُمْ سَوَّلَتْ لَهُمْ الأباطيل وشَياطينُهُمْ لَعِبَتْ بهم إنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لها واردون» (الأنبياء ٢١ : ٩٨).

٤٠ – ثمّ قال ليَ: «يا عبدي، قف عند حدّي وانظر في كتابي، فهو النُّور الجليّ، وفيه السرّ الخفي. صراطي ممدود علىَ ناري، فالويل ثمّ الويل لمن كذّبني. يا عبدي، هل حجبتُ سرّك عنّي وعن معرفتي وعن التصرّف في مُلكي وملكوتي، في دُنياك ببقاء جسمك وعذابك وتصرّفك مع أبناء جنسك؟. أَلَمْ تعلم أنّ العارفين كما هم اليوم كذلك يكونون غداً، أجسامُهم في الجنان وقلوبُهم في حضرة الرحمن. (كلُّ حزب بما لديهم فرحون) (المؤمنون ٢٣ : ٥٣). وكلّ له شرب معلوم. وسيردُّون فيعلمون: «كأنَّهُم ما سمعوا يوم يكشف عن ساقٍ، ويدعون إلى السّجود» (القلم ٦٨ : ٤٢).

الفصل السابع
مشهد نور السّاق بطلوع نجم الدّعاء

٤١ – أشهدني الحقّ بمشهد نور السَّاق وطلوع نجم الدُّعاء، وقال لي: «عليه الإعتماد، وهو الأمر الذي لا يُرَدّ. من حضرة الجلال صدر، وفي مستقرّها ظهر. فاحْذره إذا بدا». ثم قال لي: «إن استمسكتَ به كلّمتُك ووجدك الحبيب مصاحبي». ثمّ قال لي: «لا يُستَمسك بالسّاق إلاّ عند طيّ السّماء وموْرها وسير الجبال وذهاب القدمين وفناء كلّ ميّتٍ وبقاء كلّ حيٍّ». ثمّ قال ليَ: «إذا أحضر السّاق، فاحذر السّلب».

٤٢ – ثم قال لي: «شغلناهم بالإستدراج عن مشاهدة السّاق عند مجاوزة الحدّ بالنَّعيم الأجلّ». ثمّ قال لي: «على السّاق قامت البيّنة، فأشرف له، لكنّه تبع». ثمّ قال: «بظهوره يشتدّ ظهور الشمس ويَغيب القمر وتنكدر النّجوم. وإليه المرجع» (المائدة ٥ : ٤٨).

٤٣ – ثمّ قال لي: «إنّ لي عباداً اشتغلوا بالقلم الإلهي عن السَّاق، وإنّ لي عباداً اشتغلوا بسرّ القلب عن القلب، وإنّ لي عباداً اشتغلوا بخفيّ السّرّ عن السّرّ، وإنّ لي عباداً تاهوا. فكن من أيّ العبيد تريد». ثمّ قال لي: «السّاق جزءٌ من أجزاء المطّلع، وأنتَ فوق المطّلع، فما لك والسّاق؟ عليك يعتمد السّاق، وإليك ينظر وبه يستمسك صاحب الصَّخْرة».

الفصل الثامن
مشهد نور الصخرة بطلوع نجم البحر

٤٤ – أشهدني الحقّ بالصّخرة، وقال لي: «يا أيّتها الصخرة المشرَّفة، إليك أوَى من أكل كَبَدَ أبيه مع مُنكرِ البحر الأخضر. فخبّريني ما أكل عليك؟» قالت ‹الصَّخْرة›: «الشطر».

قال ‹الحقّ› لها: «والشطر الآخر؟» قالت: «غاب في البحر». قال: «ميّتاً أو حيّاً؟». قالت (الصَّخرة) له: «حيّاً». قال: «والشطر المأكول؟» قالت: «ميّتاً». قال ‹الحقّ›: «حلالاً أو حراماً؟» قالت: «حلالاً».

٤٥ – قال لي الحقّ: «كم قعدوا عليك؟» قالت ‹الصخرة›: «النهار كلُّه». قال لي: «والليّل؟» قالت له: «فارقوني بالليل، فانبسط عليّ البحر الأخضر، فغمزني بمادّة القمر. فلمّا أبصر الشّمس انحسر عنّي فانكشفتُ للشَّمس». قال للصَّخرة: «والنّجوم ما كانت تصنع عند محادثة البحر الأخضر للقمر؟» قالت ‹الصخرة›: «انكدرت». قال: «ويَحِقُّ لها أن تنكدر».

٤٦ – «يا أيّها القمر اطلَع من بحر المغرب فإذا وازَنتَ «قبّة أرين»، فاسقط فيها، ولا تغب في الشّرق فتكن مطروداً. يا أيها القمر شرِّف الشّرق بطلوعك ولو مرّةً واحدةً في السنة. يا أيّها القمر حرّمتُ عليك الطّلوع ما دامت المشارق والمغارب باقيةً. يا أيّها القمر غصْ في البحر الأخضر ولا تظهر إلاّ لحَيْتانه ولا تخرج منه أبداً».

٤٧ – يا أيّها القمر، قل للبحر الأخضرَ يضمّ عليك أكنافه عن أمري، ولا يتموّج ولا يتراكم. فيُسمع دويَّه، وأنا أغارُ عليه. بَلِّغيه عنّي وقولي له: «إن تموّج أو أظهر نفسه أو رمى بك على ساحله أو حجبكِ عن حيتانه، أسَلِّط عليه دابةً من دوابي تشربه. ثمّ ترمي به منَ دُبُرها في العدم».

٤٨ – « ‹يا أيّتها الصخرة› أخرجُك منه ‹أيّ من البحر الأخضر› وألْقيك في البحر الأبيض ليكون أبلغ في نكايته». «يا أيّهَا القمر، قل للصّخرة أن تنفجر اثنتي عَشرة عيناً، فإذا انفجرتْ فانغمس فيَ كلّ عينٍ غمستيْن كاملتيْن، واغمس ثُلثَك في ثالث غمسْة؛ فالثّالث محلّلٌ لكُم».

٤٩ – «يا أيّها القمر، لا تنظر إلى الصّخرة فتُنْسي ما قلتُ لكَ ـ ‹يعني› أن توصلها إلى البحر الأخضر. يا أيّها القمر، لا تسقط في «قبّة أرَين» حتّى تكون قمراً. إن كنت بدراً فلا تطلع، أو هلالاً فلا تطلع. ولكن اطلع قمراً، ولا تُفارق «قبّة أرين»، تقف على سرّ الأنهار، إن شاء اللّهَ».

الفصل التاسع
مشهد نور الأنهار بطلوع نجم الرتب

٥٠ – أشهدني الحقّ بالأنهار، وقال لي: «تأمّل وقوعها». فرأيتُها تقع في أربعة أبحر. النّهر الواحد يرمي في بحر الأرواح، والنّهر الثّاني يرمي في بحر الخطاب، والنهر الثّالث

يرمي في بحر المزمار والشّكر، والنّهر الرَّابع يرمي في بحر الحبّ. وتتنوّع من هذه الأنهار جداول تسقي زراعات الزارعين.

٥١ – ثمّ رميتُ ببصري في الأبحر، فرأيتُها تنتهي إلى بحر واحد محيط يجمعها وترمي فيه هذه الأبحر. ورأيتُ الأنهار الأربعة تنفجر من ذلك البحر المحيط، ثمَّ ترجع إليه بعد الإمتزاج بهذه الأربعة الأبحر. فقال لي: «هذا البحر المحيط ‹هو› بحري، وأولئك أبحُري، ولكن ادعتْ السَّواحل أنها لها. فمَن رأى البحر المحيط قبل الأبحر والأنهار، فذلك «صديق». ومن شاهدها دفعة واحدة فذلك «شهيد». ومن شاهد الأنهار، ثمّ البحر ‹المحيط›، ثمّ الأبحر، فذلك «صاحب دليل». ومن شاهد الأبحر، ثمّ الأنهار، ثمّ البحر ‹المحيط›، فذلك «صاحب آفات» لكنّه ناج».

٥٢ – ثمّ قال لي: «من كان من أهل عنايتي أنشأت له مركباً فجرى به في الأنهار حتّى قطْعها. فإذا رمت ‹الأنهار› به في الأبحَر، جرى فيها حتى تنتهي إلى البحر المحيط. فإذا انتهى إليه علم الحقائق وكاشف الأسرار. وإلى هذا البحر ينتهي المقرّبون. وأما مَن فوقهم، فإنّهم يَجْرونَ فيه ألف سنة حتّى ينزلوا بساحله؛ فيخرجون في الصّحراء لا تُدرَك له نهاية ولا غاية. فيَتيهون فيه ما بقت الديموميّة، فإذا فنيتْ فنوا».

٥٣ – ثمّ قال لي: «انظر.» فرأيتُ ثلاثة منازل. ففتح لي المنزل الأوّل، فرأيتُ فيه خزائن مُفتحة، ورأيتُ السّهام قد تعاورتْها، ورأيتُ الرعّاع يطوفون بأرجائها ويُريدون كسْرها.

٥٤ – فخرجتُ من ذلك المنزل وأدخلني المنزل الثاني، فرأيتُ فيه خزائنَ مُقفلة ومفاتيحها معلَّقة على أقفالها. فقال: «خُذ المفاتيح وافتح ‹الخزائن› وتنزّه واعتبر». ففتحتُ الأقفال، فرأيتُها مملوءة دُرَراً وجوهر وحُللاً ما لو اطّلع عليها أهل الدنيا لاقتتلوا عليه. ثمّ قال لي: «خذ منها حاجتك وردّها كما وَجَدْتها». قلتُ: «لا حاجة لي بها». فأغلقتُها.

٥٥ – فقال: «ارفع رأسك». فرأيتُ على أبوابها طاقات وحاجات لا يشرف عليها إلاّ الطوال من النّاس مَن كان طوله مائة ذراع فصاعداً. ورأيتُ مَنْ دون الطّوال يتعلّقون بحَلَق تلك الأبواب ويقرعون بها. فإذا استدام القرع وكثُر الصّياح تَنْبعث لهم من تلك الطاقات مَعْصَم تُمسك سراجاً يتّضوأون به ويرى بعضُهم بعضاً، ويتأنسَوا، وتَفرَّ سباع كانت تؤذيهم، ودخلتْ الأفاعي حُجرتَها، وحصل لهم الأمن من كلّ ضَرَر كانوا يَحْذُرون في الظلمة. ورأيتُ في جوانب تلك الخزائن سهاماً قد تعاورتْها دون الأولَى.

٥٦ – ثمّ أخرجني الحقّ إلى المنزل الثّالث فأدخلني فيه. فرأيتُ خزائن مقفلة ليس لها مفاتيح. فقلتُ له: «أين مفاتيح هذه الخزائن؟» قال: «رميتُ بها في البحر المحيط». فأنشأ لي مَرْكباً وجَرَيْتُ في البحر ستّة آلاف سنة. فلمّا كان في الألف السَّابع، قال لي: «تَجرَّد

عن ثيابك، فإنّك في وسطه ‹أي في وسط البحر المحيط›، وأغطس على تلك المفاتيح، فهُنا مُسْتَقَرَّهَا ومُسْتَودَعَهَا كُلٌّ في كتاب مُبين» (هود ١١ : ٦).

٥٧ – فتجرّدتُ عن ثيابي فَأردْتُ إزَالة مئزري، فقال لي: «لولا المئزر ما قدّرتَ أن تنغمس». فشددتُ مئزَري ورميتُ بنفسي من المرَكب حتّى وصلتُ قرعَ البحر، فأخرجتُ المفاتيح. فلمّا حصلتُ على ظهر البحر، خرج نارٌ من المفاتيح فأحرقتْ المركبَ. فصَعدتُ حتّى وصلتُ الخزائن، فطارتْ المفاتيح من يدي وبادرتْ إلى فتْح الأقفال. ففتحتْ الأبواب ودخلتُ الخزائن.

٥٨ – فرأيتُ بدايةً من غير نهاية، ونظرتُ أن أرى فيها شيئاً، فما رأيتُ شيئاً إلاّ فارغة. فقال لي: «ما رأيتَ؟» قلتُ له: «ما رأيتُ شيئاً». قال لي: «الآن رأيتَ من هنا تَكلَّم كلُّ ذي سرٍّ، وهذا عشتُه. أخرج!» فخرجتُ، فرأيتُ كلّ شيء، مكتوباً على ظاهر الأبواب. ثمّ نظرتُ في جوانب الخزائن، فلم أر فيها من السّهام إلاّ قليلاً. ثمّ قال لي: «كلّ ما رأيتَ فهو كونٌ، وكلّ كونٍ ناقصٌ. إرق حتّى لا ترى كوناً». فرقيتُ، فرماني في بحر الحيرة، وتركني أسبح فيه.

الفصل العاشر
مشهد نور الحيرة بطلوع نجم العدم

٥٩ – أشهدني الحقّ بمشهد الحيرة، وقال لي: «إرجع.» فلم أجد أينَ. فقال لي: «أَقبل.» فلم أجد أينَ. فقال لي: «قَفْ.» فلم أجد أينَ. قال لي: «ولا تخلُ.» فحيّرني. ثمّ قال لي: «أنتَ أنتَ وأنا أنا». ثمّ قال لي: «أنتَ أنا وأنا أنتَ». ثمّ قال لي: «لا أنتَ أنا وأنا أنتَ». ثمّ قال لي: «لا أنا أنتَ وأنتَ أنا». ثمّ قال: «لا أنتَ أنتَ ولا أنتَ غيرك». ثمّ قال: «الأنيّة متَّحدة والهويّة مُتَعدِّدة». ثمّ قال لي: «أنتَ في الهويّة وأنا في الأنيّة». ثمّ قال لي: «شهود الحيرة حيرة». ثمّ قال لي: «الحيرة مع الغير». ثمّ قال لي: «الحيرة حقيقة الحقيقة». ثمّ قال لي: «مَن لم يقف في الحيرة لم يعرفْني، ومن عرفني لم يُدرك الحيرة».

٦٠ – ثمّ قال لي: «في الحيرة تَاه الواقفونَ، وفيها تحقّق الوارثون، وإليها أعمل السّالكون وعليها اعتكف العابدون، وبها نطق الصِّدّيقون، وهي مَبْعَث المرسلين ومُرتَقَى همَم النبيين. فلقد أفلح مَن حَارَ، فمن حار وَحَّدَ ومن وَحَّدَ وَجَدَ، ومن وجد فَنَى، ومن فنى بَقَى، ومن بقى عُبِّدَ، ومن عُبِّدَ جازى، ومن جازى فهو الأعلى. وأفضل المجازاة الأنيّة وفيها الحيرة».

٦١ – ثمّ قال لي: «ليس ‹في الحقيقة› الحيرة حيرة، وإنّما هي غيرة منّي عليك. فغرْ

عليَّ، واسترني وأحجُبْني، ولا تُظهر في الوجود غيري». ثمّ قال لي: «أوقفْهم في الحيرة ولا تدلّ عليّ أحد، أو وَصِّلْهم إليّ وعرِّفْهم بي، ولا تُعَرِّفْهم بمكاني، وعَرِّفْهم بمكاني ولا تُعَرِّفْهم بي. فإذا لم يَرَوا مكاني يجدوني، وإذا وجدوني لم يروا شيئاً. وإذا رأوا شيئاً لم يروا مكاني. وإذا لم يروا مكاني، فأحرى أن يروني».

٦٢ – ثمّ قال لي: «هذا ‹يعني الحيرة› ثوبي. سرْ به إليهم، فمَن لبسه فهو منّي وأنا منه، ومَن لم يلبسْه فليس منّي ولستُ منه». ثمّ قال لي: «إرم به في النار، فإنْ احترق فهو ثوبي، وإن سَلِمَ فليس ثوبي.» ثمّ قال لي: «إن احترق فليس ثوبي وإن سلم فهو ثوبي. ومن لبس ثوبي فليس منّي، ومن تركه فهو منّي». ثمّ قال لي: «شهد العدم للحيرة»: «أنا اللّه لا إله إلاّ أنا» (طه ٢٠ : ١٤).

الفصل الحادي عشر
مشهد نور الألوهية بطلوع نجم «لا»

٦٣ – أشهدني الحقّ في الألوهية. فلم تسعها العبارة، وقصّرت عنها الإشارة، وزال النَّعت والوصف والاسم والرَّسم. وقال ‹الحقّ› وقلتُ. وأيت وأقبل وأدبر وقام وأقعد. أوقف كلّ شيء ولم أر شيئاً. ورأيتُ الأشياء ولم أر رُؤيةً. زال الخطاب وانعدمتْ الأسباب وذهب الحجابُ، ولم يبق إلاّ البقاء، وفني الفناء عن البقاء بأنا.

الفصل الثاني عشر
مشهد نور الأحدية بطلوع نجم العبوديّة

٦٤ – أشهدني الحقّ بمشهد الأحدية، وقال لي: «ارتبطت الأحديّة بالعبوديّة ارتباطاً هذالاً». ثمّ قال لي: «أنا الأصل وأنت الفرع». ثم قال لي: «أنا الأصل وأنتَ الفرع». ثمّ قال لي: «الأصل أنتَ والفرع أنا». ثمّ قال لي: «أنتَ الواحد وأنا الأحد، فمَن غاب عن الأحدية رآك، ومن بقى معها رأى نفسه. هي ‹أيّ الأحدية› حضرة التّوالي، لو انقصمتْ لم تكن».

٦٥ – ثمّ قال لي: «لا تنم إلاّ على وَتْر». ثمّ قال لي: «لا وتْرَان في ليلة». ثمّ قال لي: «صلّ المغرب ولا تُصل العتمة؛ فيجب عليكَ الوتر، فيكون عليك شفعاً».

٦٦ – ثمّ قال لَي: «حجبتُك بالأحديّة، ولولا الأحديّة ما عرفتني، وما عرفتني قطّ». ثمّ قال لي: «لا تُوَحِّد فتكون نصرانياً، ولا تؤمن فتكون مقلِّداً، وإن أسلمتَ كنتَ منافقاً، وإن أشركتَ كنتَ مجوسياً».

٦٧ – ثمّ قال لي: «اللّذات في المطاعم، والمطاعم في الثَّمر، والثَّمر في الأغصان، والأغصان تتفرّع من الأصل، والأصل واحد. ولولا الأرضُ، ما ثبتَ الأصل. ولولا الأصل ما كان الفرع. ولولا الفرع ما كان الثَّمر. ولولا اثمر ما وُجِدَ الأكْل. ولولا الأكلُ ما وُجدت اللّذّة. فالكلّ متعلِّقة بالأرض، والأرض مفتقرة إلى الرِّيحِ، والرِّيح يسخرها «الأمرُ» ‹الإلهي›، والأمر من الحضرة الربّانيّة يصدُر. ومَن هنا إرق وانظر وتنزَّه، ولا تنطق». ثمّ قال لي: «احفظ الوسائط». ثمّ قال لي: «كتبتُ: «طه» (سورة ٢٠) في بَنَات نَعْش الصغرى».

٦٨ – ثمّ قال لي: «القُطب اليماني هو الشّمالي، وقد أودعتُها في أوّل سورة الحديد» (سورة ٥٧). ثمّ قال لي: «لو كان قطبان، ما دار الفلك، ولو لم يكن قطبان لتهدمت البنيّة، وما جرى الفلك». ثمّ قال لي: «لا تنظر إلى وجوه القطْبين وانظر ما غاب في البَكْرة، وحينئذ تقول ما شئتَ. إن شئتَ ‹تقول›: «اثنين.» وإن شئتَ ‹تقول›: «واحداً». «وقال: «في ارتباطً اللام بالألف سرّ لا ينكشف ‹الذي› أودعتُه في قولي: (وهو الذي رَفَعَ السَّموات بِغيرِ عَمدٍ)» (الرعد ١٣ : ٢).

الفصل الثالث عشر
مشهد نور العُمد بطلوع نجم الفردانية

٦٩ – أشهدني الحقّ بمشهد نور العمد وطلوع نجم الفردانية، وقال لي: «حجبتُه عن الرؤية في الفناء وأظهرتُه في البقاء. حجبتُه فيما ظهر وأظهرتُه فيما غاب وخفى». ثمّ قال لي: «أظهرتُك ‹العمد› في الفناء وألقيتُ أغطية على الأبصار حتّى لا تُدركه».

٧٠ – ثمّ قال لي: «ضربتُ القُبّة وأركزتُ العمد وأوثقتُ الأوتاد، وأبَحْتُ الدخول لجميع من في الوجود فيها. فمن طائفة حجبوا ‹العمد› بذات القُبّة وحسنها وجمالها. ومن ‹طائفة› آخرين حجبوا ‹العمد› بًالأوتاد فاستمسكوا بها. ومن طائفة حجبوا ‹العمد› بأسباب القُبّة، فبقوا معها. ومن آخرين حجبوه بأثاثها ومتاعها.

٧١ – والكلّ ما رأوا عمد القُبّة حتّى دخلوا ‹فيها› فقالوا: «قبّة من غير عمد مُحال.» فبحثوا حتّى وجدوا العمد، فنظروا من أين ‹هو›. حجبوا هؤلاء عن العمد، فوجدوا على أعينهم أغطية، فاستمسكوا بالعمد واقتلعوه من الأرض وأخرجوه، فسقطت القبّة على مَنْ بقي.

٧٢ – فلو رأيتَهم يُموّجون فيها ويدخلون بعضُهم في بعض ويؤذي بعضُهم، وهم لا يَهْتَدون، كالحيتان في شَبَكة الصائد. فلمّا رأيتُ تخبطهم أرسلتُ عليهم ناراً، فأحرقتُهم وأحرقتْ القُبّة والأساس والأثاث والأوتاد. ثم أجبتهم، فقلتُ لهم: «انظروا إلى ما

استمسكتُم به فنظروا، فوجدوا «هباءً منثوراً» (الفرقان ٢٥ : ٢٣)».
٧٣ – ثمّ قال لي: «كُن مع أصحاب العمد، وإن لم تكن معهم هلكتَ وإن صاحبتَهم هلكتَ».
ثمّ قال لي: «مَنْ رأى العمد فقد حجب. وإيّاك والحِجاج فإنّه يورث الهلاك».

الفصل الرابع عشر
مشهد نور الحَجاج بطلوع نجم العدل

٧٤ – أشهدني الحقُّ بمشهد الحجاج. فرأيتُ الساهرة قد مُدّتْ والأرض قد ألقتْ ما فيها وتخلّت. وقال لي: «يا عبدي، تأمّل ما أصنع بأهل المراد والجدَال والهواء والبدع، وأنا القاهر».
٧٥ – فرأيت سُرادقاً مضروباً، عموده من نار وأرجاؤه وأطنابه من قَطْران. فقال لي: «هذا سُرادق لُدٍّ أَفيٍّ يقع خلاف أمري يتكلّم اليَّ ًهَيْهات هَيْهات يقدّروا لما خيّلوا وتثبّت أيديهم بما كسبوا». ثمّ قال: «يا عبدي، إذا دخل المتناظرون في هذا السّرادَق، فأنظر فريقك فسر مَعَهُم. فإن نجوا نَجَوْتَ، وإن هلكوا هلكت. ألق السَّمْع وأشهد».
َ٧٦ – فنظرتُ ورأيتُ ميزان العدل قد نُصب وصراَط الحقّ سُدّ، وجهنّم الخلاف قد سُعِّر، وجنان المواقفة قد أزلفت. فإذا النّداء: «أينَ ذو العقول بزعْمهم؟» فجاء بالفلاسفة ومن تَابَعهُم؛ فأُدخلوا من السّرادق، فسُئلوا: «أين صرفتُم عقولُكم؟» قالوا: «فيما يَرضيك». قال: «ومن أين علمتم ذلك؟ بمُجرَّد العقل أم بالإتِّباع والأقدية؟» قالوا: «بمجرّد عقولَنا». قال: «لا عقلتُمْ ولا أفلحتم، لكنَّكم تحكَّمْتُم». «يا نار، تحكّمي فيهم.» فسمعتُ صحبهم يقول: «أطباق النِّيران، بالويل.» فقلتُ: «من يعذّبهم؟» قال ليَ: «عقلُهم، فهو كان معبودَهم، ما سألهم سوى هو ‹يعني سوى عقلهم›، ولا عذّبهم غيره».
٧٧ – ‹فإذا النداء› «أين الأطبّاء الطبيعيُّون؟» فأوتي بهم. فرأيتُ أربعة أملاك «غلاظ شداد» (التّحريم ٦٦ : ٦) بأيديهم مقامع. فقالت لهم: «يا ملائكة اللّه، ما تَبْغُون منّا؟» فقالوا: «نُهْلككم ونُعَذّبكم». فقالوا لهم: «ولأيّ شيء؟» قالوا: «كنتُم في الدُّنيا تزعمون أنّا آلهتُكم، وكنَتُم تعبدوننا من دون اللّه، وتروا الأفعَال مثالاً من اللّه. فسلَّطَنا اللّهُ عليكم يعَذّبكم في نار جهنّم». فَكُبْكبوا فيها.
٧٨ – «أين الدّهريُّون؟» «فأوتي بهم، فقيل لهم: «أنتم القائلون: «وما يهلكنا إلاّ الدَّهر؟» (الجاثية ٤٥ : ٢٤) «حدثتم أنفسكم؛ إنّكم ستَردُون على هذا المقام». فقالوا: «لا. يا ربّنا». فقال: «أَلَمْ تأَتكُم الرُسل بالبيّنات، فكذّبتم، وقُلتم: ما أنزل اللّه من شيءٍ (الملك ٦٧ : ٩) أخسأوا فلا حَجّة لكم». فكبكبوا على وجوههم في نار جهنّم.

٧٩ – «أين المُعتزلة الّذين اعتزلوا عن الصِّراط المستقيم؟» فأوتي بهم أجمعين، فقيل لهم: ادَّعَيْتم الربوبيّة تقولوا: «ما شئنا فعلنا.» فسحبوا على وجوههم في نار جهنَّم.

٨٠ – «أين الروحانيّون؟» فأُوتي بهم. فرأيتُهم أقبح النَّاس صوراً وأشمت النَّاس حالاً، إلاّ طائفة واحدة منهم ‹الّتي› عزلت عنهم في كنف النبيين والصِّدّيقين تحت سُرادق الأمن. فقال لي ‹الحقّ›: «انْتَظم مَعَهُم إن أردتَ النجاة، واسلك سبيلهم. ‹لكن› لا تنتظم معهم ما دام «الميم». فإذا فَنِى المَيم، فانْتَظِم ما دامت «المعيّة». فإذا فنيتْ المعيَّة، فاحكم بما شئتَ. ولا جُناح عليك».

٨١ – ورأيتُ السَّبعة الأحزاب من الرّوحانيين قد سُئلوا و ‹هم› صاروا محجوجين. قد لعبتْ بهم الأهواءُ واستواهم الشَّياطين. فاستعاذ جميع الطَّوائف منهم ومن عذابهم، وحصلوا بين طباق النّيران. «هذا الذي كنتم به تكذّبون. أين لاهوتكم يشفع في ناسُوتكم؟» وقل: «جاء الحقُّ وزهق الباطل» (الإسراء ١٧ : ٨١).

٨٢ – فدخلتُ الجنان مع الحزْب الثَّامن. فأزلت «الميم»، كما قال لي ‹الحقّ›، فبقيتْ المعيّة بسبعين ألف حجاب. فلم تزل المعيّة تقطع الحُجب وتخْرقها حتّى هلكتْ في آخر حجاب، وما بقي حجاب ولا معيّة. فإذاً الحِزْب الثَّامن ينادي: «رَبنا آتنا ما وعدتنا» (آل عمران ٣ : ١٩٤).

٨٣ – قال العبد الفقير إلى رحمة ربّه: فتجلّى لهم في صورة العلم، فتفاضلت الرؤية. وقال لي: «هذه صورتك. أبرزُ لهم فيها». ثمّ قال لي: «أدخل السّرادق، تعود ناره نوراً. أدخل النّيران تعود جنّةً. لا تدخل مكاناً إلاّ بي، ولا تقصد إلاّ إلَّي. قامت الحُجَج على أهل الحجَاج. مَن سلِم؟» قلتُ: «من لم يكن له حُجَة». قلْ: «فَلِلَّه الحُجَّةُ البَالِغَة» (الأنعام ٦ : ١٤٩).

٨٤ – ثمّ قال لي: «أرجع، فخبّر، وإيَّاي فكبِّر. وثيابُك فطهِّر، والرجاء فاهجر. وفي هذا المقام فاعتبر». ثمّ قال لي: «لا تعمل شيئاً ‹بما ذكرتُ لك›؛ وإن تعمله وإن لم تعمله هلكتَ. فكن على حذْرٍ، ولا تُفارق الأمَل».

خاتمة الكتاب

٨٥ – ‹وهو› فصل في تأييد هذه المكاشفات العلميّة والمشاهدات القدسيّة، وما يتعلّق بها بالآيات والأخبار والآثار. لعلّك تطلب ـ أيّها الباحث عن هذه الأسرار والباغي اقتباس هذه الأنوار ـ شواهد عليها من الآيات والأخبار والآثار لِتقوى طلبك عليها وتكن ممّن ينتدب إليها.

٨٦ – نعم! سددك اللّه بنظره الصّائب، وجعلك ممّن جمع في معرفته بين الشّاهد والغائب. يُمهّدها لك أحسن تمهيد، ويُفرّق لك بين المعوّج منها والسَّديد. وإذا علمتَ بمقتضاه كُوشفتَ على حقيقته ومعناه، وشاهدتَ هذه المشاهد القدسيّة والمكاشفات العلميّة الّتي أوردتُ منها في هذا الكتاب على قدر ما حُدّ لي في الخطاب ‹الإلهي›، حتّى يُثبَت ‹لك› ما أنزل إليَّ سبحانه من أسراره العليّة وأنواره السَّنيّة وغيوبه الأزليّة. وتكون البحر مداد مملوءة بالأقلام، وبقيت الأسرار في الأدوات. فالقِ سمعك إن كنت على الحقيقة طالباً.

٨٧ – أمّا الآيات، فقوله تعالى: (وعلّمناه من لَدُنّا علماً) (الكهف ١٨ : ٦٥). (واتّقوا اللّه يعلّمكم اللّه) (الكهف ١٨ : ٥٥). (ويُؤْتي الحَكمة مَن يشاءُ). (البقرة ٢ : ٢٦٩). (وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم). (الأنعام ٦ : ٨٣). (أو من كان ميّتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به النّاس). (الأنعام ٦ : ١٢٢). (والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا). (العنكبوت ٢٩ : ٦٩) (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا). (الأعراف ٧ : ١٧٥).

٨٨ – وأمّا الأخبار، فقوله صلّى اللّه عليه وسلّم: «من عمل بما علم أورثه اللّهُ علْمَ ما لم يعلمَ». وقال ‹النَّبيّ›: «العلم نور يضعه اللّه في قلب سليم». وقال: «لأن من العلَم كهيئة المكنون؛ لا يعلمه إلاّ العالمون باللّه». وقال – حكاية عن ربّه: «لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتّى أحبّه. فإذا أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً...» الحديث. وفي حديث آخر: «القلوب أوعية، لكن قلب أجرد فيه سراجٌ يزهر، فذلك قلب المؤمن.».

٨٩ – وأمّا الآثار، فقد قال عَلي – رضي اللّه عنه – وضرب بيده إلى صدره: «إنّ هُنا لعلوماً جَمَّة، لو وجدت لها حمَلَه». وقال ابن عبّاس في قوله تعالى: (اللّه الذي خَلَقَ سَبْع سموات ومن الأرض مثْلَهُنَّ يَتَنَزَّل الأمرُ بَيْنَهُنَّ) (الطلاق ٦٥ :١٢): «لو ذكرتُ تفسيره لَرجمتموني». وفي روَاية ‹أخرى›: «لقُلتم أنّي كافر». وقال عَلي - رضي اللّه عنه: «لو أُذن لي أن أتكلّم في الألف من الحمد للّه، لتكلّمتُ فيه سبعين. وَقرأ إلى أمثال هذا ممّا لا يَحصَى كبره».

٩٠ – وهذه هي العلوم التي اختصّ اللّه بها بعض عباده و ‹التي› نهى عن كشفها لغير أهلها في الكتاب والسُنّة. وَفّقكَ اللّه وسدَّدك السَّبيل. فحصول هذه العلوم المذكورة له شروط كثيرة لمن يطلب تحقيقها. فهي في قلوب أهل التّحقيق، ولا يفي بها إلا أهل العناية والتَّوفيق السَّالكين سوى الطريق.

٩١ – فنقول: إنّ القلب على خلاف بين أهل الحقائق والمكاشفات ‹وهو› كالمرآة المستديرة لها ستّة أوجه – وقال بعضهم ثمانية. هذا مَحلّ خلاف، ولولا التَّطويل وخروجاً عمّا

قصدناه من الاختصار، لأزلنا الخلاف وَبَيَّنّا وجه الجمع بين هذين المقامين بأدلّة قاطعة. لكنّا تمّمنا هذا المقصد في كتابنا «المترجم بجلا القلوب». ولا يُلْتَفت إلى مَن زاد لَها وجهاً تاسعاً، لأنّ الحكمة الالهيّة منعت ذلك – وإلاّ في الإمكان أن يوجد لها من الوجوه ما لا يتناهى، إذ صفات الجلال لا تُحْصَى.

٩٢ – ولعلّك تقول: نستشعر من هذا القول الذي ذكرتَه مناقضة الإمام أبي حامد ‹الغزالي› يقول: «ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم». نعم! يشعر ذلك عند من يقصر إدراكه عن الإطّلاع إلى هذه العلوم السماويّة. وأمّا عند من محض عن كلامنا وبحث عن حقيقة ما أشرنا إليه يرى أنّ لا مناقضة بينهما. وقد شبعنا القول بالأدلّة الواضحة في شرح كلام الإمام أبي حامد ـ رضي اللّه عنه ـ : «وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم» في «كتاب الجمع والتفصيل في معاني التنزيل» لّما تكلّمنا على قوله ـ تعالى ـ : (وإذ قال ربُّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة) (البقرة ٢ : ٣٠).

٩٣ – ثمّ نقول: «قد جعل اللّه في مقابلة كلّ وجه من وجوه القلب حضرةً تقابلها من أُمّهات الحضرات الإلهيّة تقابله. فمَهْما جلّى وجه من هذه الوجوه تجلّت تلك الحضرة فيه. فإذا أراد سبحانه أن يمنح بمدّة من هذه العلوم شيئاً، تولّى سبحانه بتوفيقه مرآة قلبه، فنظرها بعين اللُّطف والتَّوفيق وأمدّها ببحر التَّوحيد.

٩٤ – فاهتدى ذلك الموفّق للرياضات والمجاهدات، و ‹هو› وجد الارادة والمحبّة من قلبه، فبادرتْ الجوارح بالطّاعة للقلب، إذ هو مالكها وسيّدها. فاستعمل الأفكار وعلّق الهمّة وتخلّق بأخلاق اللّه، وغسل قلبه بماء المرَاقبة حتّى يتخلّى عن القلب صداء الأغيَار، وتتجلّى فيه حضرات الأسرار الإلهيّة.

٩٥ – فالوجه ينظر إلى حضرة الإحكام، وصقالُة ذلك الوجه بالمجاهدات. والوجه ينظر إلى حضرة الإختيار والتَّدبير، وصقالة ذلك الوجه بالتَّسليم والتفويض. والوجه ينظر إلى حضرة الإبداع، وصقالة ذلك الوجه بالفكر والإعتبار. والوجه ينظر إلى حضرة الخطاب، وصقالتُه بخلع الأكوان. والوجه ينظر إلى حضرة الحياة، وصقالتُه بالتَّبرئة والفناء – وهو الوجه الثّامن عند من أثبتها ثمانية. والوجه ينظر إلى حضرة ما لا ينقال، وصقالته بالرجوع إلى العدم. ‹وإليه أشار الخبر›: «يا أهل يثرب لا مقام لكم».

٩٦ – وأمّا الوجهان اللّذان هما محلّ الخلاف، فأهل السُّنّة صرفوهما إلى حضرة الأحكام. وغيرهما قال إنّ أحدهما ينظر إلى حضرة المشاهدة وصقالته ببيع النفس، والآخر ينظر إلى حضرة السَّماع وصقالته بالصّمت والأدب.

٩٧ – وليس ثمّ وجه تاسع، ولا كشف لها سبحانه حضرة زائدة على هذه الثَّمانية؛

فكانت تجهلها إذ ليس لها وجهٌ تجلّى فيه للحكمة الإلهية التي سبقت بالإرادة القديمة. وهنا موضع نزاع بين الأشعريّة والصّوفية، دقيق لا يتفطّن له إلا صاحب ذوق.

٩٨ – ثمّ لتعلم أنّ لهذه الحضرات أبواباً في مقابلة ما على وجه المرآة من الصداء. تسمّى أبواب المشيئة، فعلى قدر ما تكون الصقالة يكون التجلّي، وعلى قدر ما يُفتَح من الأبواب يكون الكشف. فليس كلّ مرآة مجلوّة يكشف لها؛ لكنّها معدّة لقبول الصور.

٩٩ – كذلك ليسَ كلّ من سلك هذا الطريق يكشف له. قد يُدَّخر له إلى يوم القيامة ـ أعني قيامته ـ كما تدّخر المرآة المحسوسة ليوم ما، وإلاّ لأيّ معنى صُقلتْ أو لأيّ فائدة وُجِدَتْ. لكن تلوح ‹مرآة القلب› لها بوارق مِنَ المطلوب، وإن كانَت لا تخلّى عن الصَوّر ‹المحسوسة›. لكن الصور التي قصدنا في هذا الباب ‹هي› صور مخصوصة انفردت بها مرآة أهل الحقائق.

١٠٠ – فإذا رقيتَ إلى هذه المنازل واطّلعتَ على هذه المقامات، صارت الغيوب مشاهدة في حقّك؛ أعني غيوب ما بطن في ظاهر علوم الدين، لا ما في بطن فلان أو أمر ما. فإنّ تلك مكاشفات السّالكين، وإن تشوّش عليك خاطرك ولم ترزق الإيمان بهذه المقام، فقد أجرى اللّه لك في ظاهر الكون مثالاً ترتقي به إلى ما ذكرنا، وهي المرآة المحسوسة ‹الّتي› تتجلّى فيها صُور المحسوسات على قدر صقالتها وجلائها.

١٠١ – وقد نبّه على ذلك سيّد البشر صلّى اللّه عليه وسلّم، حيث قال: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد». قال ‹أحد›: فما جلاؤها؟ قال ‹النبيّ›: «ذِكْر اللّه وتلاوة القرآن». فقديماً نُصبتْ الأمثال أدلّة لعلوم ربانيّة، فمَن وقف مع المثال ضَلّ، ومن رقي عنه إلى الحقيقة اهتَدى.

١٠٢ – ثم لتعلم أنّ لهذه الحضرات أسراراً ظاهرةً وأسراراً باطنةً. فالأسرار الظَّاهرة لأهل الاستدراج، والباطنة لأهل الحقائق. فليس كلّ حكيم حكيماً. بل الحكيم من حَكَمَتْه الحكمة وقيّدته بالوقوف عند فصل الخطاب، ومَن منعتْه أن ينظر إلى سوى خالقه، ومَن لازم المراقبة على كلّ أحيانه. فليس من نطق بالحكمة ولم تظهر آثارها عليه يُسمّىَ حكيماً.

١٠٣ – فالنَّبيّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – قد قال: «ربّ حامل فقه ليس بفقيه، إنّما هي أمانة عنده، يُؤديها إلى غيره» (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) (الجمعة ٦٢ : ٥). فإذا صدرتْ منك حكمة، فانظرها في نفسك. فإن كنتَ قد تحلّيتَ بها، فأنتَ صاحبها، وإن رأيتَ نفسك عارية عنها فأنتَ لها حامل ومسؤول عنها. وتحقيق هذا ‹هو› أن تنظر إلى استقامتك على الطَّريق الأوضح، والمَهْيع السّديد والميزان الأرجح في قولك وفعلك وقلبك.

١٠٤ – فاعلم أنّ النّاس في الإستقامة سبعة أقسام: فقسمان لهما الفضل، والخمسة

‹الأخرى› عليهم الدرَك. فمستقيم بقوله وفعله وقلبه، ومستقيم بفعله وقلبه دون قوله. فهذان لهما الفضل، والأوّل أعلى. ومستقيم بقوله وفعله دون قلبه يُرجّىءُ له النّفع بغيره. ومستقيم بقوله وقلبه دون فعله. ومستقيم بقلبه دون فعله وقوله. ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه. ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه.

١٠٥ – فهؤلاء عليهم ‹الإستقامة›، لا لهم. لكن بعضهم فوق بعض. وأعني «بالاستقامة في القول» أن يرشد غيره بقوله إلى الصّراط المستقيم. وقد يكون عريّاً ممّا يرشد إليه. فهذا نعني بالإستقامة. ويجمع ذلك مثال واحد: وهو رجل تفقه في أمر صلاته وحَقّقها، ثمّ علّمه غيره. «فهذا مستقيم في قوله». ثمّ حضر وقْته فأدّاها على حدّ ما علّمه وحافظ على أركانها الظّاهرة. فهذا «مستقيم في فعله». ثمّ علم أنّ مراد اللّه منه في تلك الصلاة حضور قلبه لمناجاته، فاحضره. فهذا «مستقيم بقلبه». ثمّ أحمل هذا المثال على ما بقي من الأقسام ‹الأخرى›، تجده واضحاً إن شاء اللّه.

١٠٦ – ثمّ اعلم أن العلل التي تصُدّك عن طريق الإستقامة الكاملة غير منحصرة؛ مستقرّها كتاب اللّه وحدَيث رسوله، صلّى اللّه عليه وسلم. فلا تأمن مَكْر اللّه، فإنه (لا يأمَن مكْرَ اللّه إلا القومُ الخاسرون) (الأعراف ٧ : ٩٩). وإنّي لك بالأمن، ورسول اللّه يقول: «إنّي أستغفرك ممّا علمتُ وممّا لم أعلم». فقيل له: «أتخاف يا رسولَ اللّه؟» قال: «وما يؤمنني، والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقَلِّبُه كيف شاء». واللّه تعالى يقول: (وبَدَا لَهُم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبون) (الزّمر ٣٩ : ٤٧).

١٠٧ – فاعلم أنّ الإنسان محلّ للتَّغيير، قابل لكلّ صفة ترد عليه. فكن على حذر ما دام تركيبك. قال تعالى لموسى في التوراة: «يا ابن آدم، لا تأمَن مكْري» حتى تجوزَ على الصِّراط، فالآفات كثيرة والخطوب. «والطريق دقيق، أدقّ من الشَّعْر وأحَدّ من السَّيف». لا يثبُت عليه إلاّ أهل العناية. فكن على حذر، وإن أردت أنوارهم وأسرارَهم فاسلك آثارهم. والحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على سيدنا محمّد خاتم النبيين.